

يوم وليلة يحيا في فراغ كامل تام ، وجد كل الأبواب التي كان يتخيل أنها مفتوحة على مصاريعها في انتظاره تغلق دونه الواحد وراء الآخر بلا سبب معلوم وكأن هناك مؤامرة خفية هدفها ان يفقد عقله أو يرتكب عملاً أحمق . وكان قرران يرتكب هذا العمل وينتحر ، فقد ضاقت به الدنيا حتى أصبحت أضيّق من « خي » حبل المشنقة .

ولم يتطلب منه الأمر تفكيراً كثيراً ، وعلى الفور شرع في اتخاذ طريقه الى مبنى المجمع في ميدان التحرير ، وعلى قدميه صعد الطوابق الكثيرة اذ هو لم يكن يستطيع أخذ الاسانسيرات أو ركوب الاوتوبيسات مخافة ان يفحصه أحدهم دون أن يحس أو يشعر . خرج الى سطح المبنى ، وأشرف على حركة المرور الهائلة في الميدان . وراجع حياته وما ينتظره على يجد قشة أمل يتعلق بها في لحظاته الأخيرة ، ولكن كان واضحاً تماماً ان قصته مع الناس قد انتهت وانه لم يعد بإمكانه ان يعيش بالطريقة التي يريدها ، كان يستطيع ان يعيش على هامش الحياة مثلما يحيا الآلاف والملايين غيره ، يأكل كيفما اتفق ، ويسكن كيفما اتفق ، ويوجد كيفما اتفق ، ولكن كنوز المعرفة التي نهل منها جعلته يرفض أي حياة أخرى الا الحياة التي يريدها هو ، الا ان يفرض على الحياة حياته فاذا فشل في هذا الغرض كان عليه في صمت وبطولة ان يموت . واغلق عينيه وقفز من حافة السور الصغير المقام فوق السطح وأحس بنفسه يهوي ويهوي وبوعيه يبهت ويبهت كأنه الشمعة تتعرض لتيار هواء قوي ، حالاً ستنتطفئ الشمعة ، ويفقد الوعي تماماً والى الأبد ، غير ان اللحظات طالت ، حتى جرؤ على فتح عينيه فوجد نفسه يقترب من الأرض بسرعة فعاد يغمض عينيه وفي اللحظات التالية بدلاً من فقدان الوعي اصطدم بالأرض ولم يتحرك من مكانه منتظراً الموت غير ان الموت لم يأت . كل ما في الأمر أحس بالأم هائلة ، أه ، كيف فاته وهو العالم الكبير ان سقوط من في وزنه لا يمكن أن يؤدي الى وفاته أو حتى كسر عظامه . هذه المرة غضب . وفي غضبته راح يبحث بسرعة عن وسيلة أخرى يقضي بها على نفسه ، لم يكن أمامه الا ان ينام فوق قضيب السكة الحديد وينتظر القضاء تحت عجلات القطار ، ولكن القضاء لم يحل ، فالهواء الناتج عن القطار القادم تكفل بنفخه حتى طار من فوق القضيب واستقر كالريشة ، على الزلط ، حتى الغرق في النيل جربه ، فوجد نفسه ، وفقط بحجم ما يرتديه من ملابس ، يطفو على سطح الماء ، ولم يفكر في خلع ملابسه مخافة ان تفشل الوسيلة فيضطر الى أن يعيش عارياً وهو مصير لم يكن يتصوره .

تكفل فشل هذه الوسائل جميعها برد بعض التعقل اليه ، وكان نية الموت لها حد محدود بحيث بعد محاولة أو محاولتين لا يصبح الانسان قادراً على أن يظل منتوياً الموت . وهكذا وهو طاف على سطح ماء النيل بعد فشله الثالث ، قرر أن يحيا ، أن يكافح ليحيا كما يريد ، وينتزع الحياة بأظفاره وأسنانه ما دام الناس لا يستطيعون ان يقدموها اليه على طبق من الفضة . ولكي تقرر أن تحيا ، عليك أن تقرر أيضاً ماذا تفعل بحياتك . . وهكذا في نفس اللحظة كان النص نص قد قرر أن يحل بحياته القادمة المقبلة كل ما استعصى على البشرية ، حتى ذلك اليوم ، حله .